ثنائية التعايش والصراع في روايات سعود السنعوسي

محمود رمضان السامرائي

الملخص:

لم يزل التعايش نمطًا من أنماط الدول المتحضرة، لما يضمن لها من آمنٍ واستقرارٍ الذي هو شرطُ أيّ دولةٍ تروم التقدم وتنشد السعي في عجلة الحضارة الإنسانية، وفي ظل المجتمعات التي تعجُّ بالتعددية الهوياتية والطوائف الدينية يصبحُ التعايش شرطًا للبقاء، وأن أي خللٍ فيها سينتج عنه صراعٌ مرير يهدد بقاء المجتمع وتقدمه، ومن هذه المجتمعات دولة الكويت التي يكثر فيها الهويات الدينية والطبقية المختلفة، ومن هنا انتبه الروائي سعود السنعوسي إلى هذه الثغرة في المجتمع الكويتي، وأن صراعًا محتملًا سينشب لما له من مقدما. لذلك جاءت رواياته تحذيرًا ودقا لناقوسِ خطرٍ محتملٍ، ومن هنا جاءت ورقتين البحثية الموسومة (ثنائية التعايش والصراع في روايات سعود السنعوسي)، ودرست مظاهر هذه الثنائية وكانت تمظهرها على قسمين:

-صراع الهوية، وما يمثله من هويات متنازعة وما تؤدي إليه إلى فك رباط التعايش المتين، ويهددُ أمنها وسلامتها الفكرية، فالإسلام جاء واحد لا يفرق بين البشر، واتخذ السنعوسي نموذجًا شخصية (عيسى) وأمه الفلبينية، وما عاناه في مجتمع الكويت من ظلمٍ وتهميش وكراهية.

-التطرف الديني: فمعلوم أن الكويت فيها عدة طوائف، يسلط الضوء على صراع السنة والشيعة في رواية (فئران أمي حصة)، فهي بمثابة تنبيه، صفعة للمجتمع وفضح هشاشته الفكرية في ظلِ التنازع الطائفي والكراهية التي نشبت. يحاول السنعوسي تقديم رؤية تنبذ التطرف والإرهاب، وتدعو إلى التعايش في ظل المجتمعات المتنازعة، وتقديم التعايش بوصفه حلًا ناجعًا، يمكن تقبل الآخر المختلف، وما عداه فهي النهاية.

الكلمات المفتاحية: (ثنائية التعايش والصراع، روايات سعود السنعوسي).

The duality of coexistence and conflict in the novels of Saud Al-Sanousi

Mahmoud Ramadan Al-Samarrai

Abstract:

Coexistence is still a pattern of civilized countries, because it guarantees them security and stability, which is a condition for any state that seeks progress and seeks to advance the wheel of human civilization. In light of societies full of pluralism of identities and religious sects, coexistence becomes a condition for survival, and any defect in it will result in conflict. Bitter threatens the survival and progress of society, and one of these societies is the State of Kuwait, which has many different religious and class identities. Hence, the novelist Saud Al-Sanousi noticed this loophole in Kuwaiti society, and that a potential conflict would break out because of his foretelling. Therefore, his novels came as a warning and sounded the bell of a possible danger. Here came two research papers tagged (the duality of coexistence and conflict in the novels of Saud Al-Sanousi), and I studied the manifestations of this duality and its manifestation was in two parts:

-Identity conflict, and the conflicting identities it represents and what it leads to breaking the bond of solid coexistence, and threatens its security and intellectual integrity. Islam came as one that does not differentiate between people, and Al-Sanousi took as a model the character of (Issa) and his Filipino mother, and the injustice, marginalization, and hatred they suffered in Kuwaiti society. .

- Religious extremism: It is known that Kuwait has several sects. The conflict between Sunnis and Shiites is highlighted in the novel (My Mother Hessa's Mice), as it serves as

a warning, a blow to society and an exposure of its intellectual fragility in light of the sectarian conflict and hatred that has erupted. Al-Sanousi is trying to present a vision that rejects extremism and terrorism, calls for coexistence within conflicting societies, and presents coexistence as an effective solution in which the different other can be accepted, and everything else is the end.

Keywords: (the duality of coexistence and conflict, Saud Al-Sanousi's novels).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

التعايش السلمي غاية المجتمعات المتحضرة ومناها، خاصة في ظل التعددية الاجتماعية والدينية، فهو عاملٌ رئيس من عوامل الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ويعتبر التعايش السلمي تجربة تدعو للفخر لأي دولةٍ، وأن أيَّ تصدعٍ يصيبها هو اخفاق يستوجب التحذير ودق ناقوس الخطر، وهذه مهمة الأدباء والحكماء، ومن هؤلاء الكاتب الكويتي الفذ (سعود السنعوسي) الذي تنبه إلى ما يحيق بلاده من اخطارٍ في ظل نشوء صراع هوياتي وطبقي وديني، وهو سبب من أسباب تخلف دولة الكويت والتحاقها بدول الخليج العربي، فكتب محذرًا من الطبقية والهوية المختلفة في روايته (ساق البامبو) والتي نال مؤلفها جائزة البوكر العربية عام ٢٠١٣م، وجاءت الرواية صادمة في تشريح المجتمع عبر شخصية عيسى ذلك المتشظي بين هويتين، فلبينية وكويتية، ورفض المجتمع الكويتي له وما مارسه نحوه من قسوة وكراهية. وجاءته روايته التالية (فئران أمي حصة) التي تناولت التطرف الديني بوصفه خطرا يحدق بالدولة ويمهد لصراعٍ مرير إذا ما تداركه القائمون على البلاد، فتناول المجتمع الكويتي المختلف في طوائفه وانقسامه إلى سنة وشيعة، وما ينشأ عن هذا التمذهب من صراع ووئد لصورة التعايش المرجوة.

ومن هنا جاء عنوان ورقتي البحثية هذه (ثنائية التعايش والصراع في روايات سعود السنعوسي) بتسليط الضوء على هذه الثنائية من خلال قراءة روايتين، (ساق البامبو، فئران أمي حصة)، وجاء الدراسة مقسمة إلى مقدمةٍ وتمهيد ومبحثين:

التمهيد: مفاهيم اصطلاحية.

المبحث الأول: تشظي الهوية في رواية (ساق البامبو).

المبحث الثاني : التطرف الديني وحضوره في رواية (فئران أمي حصة).

ثم خاتمة فيها أبرز النتائج، مع قائمة المصادر والمراجع.

ويبقى جهد المقل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد: مفاهيم اصطلاحية:

أولًا: الثنائية: تأتي في اللغة "(ثني) ثَنَى الشيءَ ثَنْياً ردَّ بعضه على بعض... وثَنَيْت الشيء ثَنْياً عطفته، وثَناه أَي كَفَّه.. وثَنَّيْته تَثْنِية أَي جعلته اثنين وأَثْناءُ الوِشاح ما انْثنَى منه... الثَّنْيُ الإِخْفاءُ".

وفي الاصطلاح: الثنائي: "من الأشياء ما كان ذا شقين..، والثنائي القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون، كثنائية الأضداد وتعاقبهما، أو ثنائية الواحد والمادة من جهة ما هي مبدأ بعدم التعين، أو ثنائية الوحد وغير المتناهي عند الفيثاغوريين، أو ثنائية عالم المُثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون"، [١] فالثنائية تحول العالم إلى أشياء متقابلة، كالخير والشر، الجسم والروح،[٢] فالطبيعة البشرية ثنائية التكوين، تتألف من عنصرين، هما عنصر المادة والروح، الدال والمدلول، الرجل والمرأة.[٣]

والثنائية في النقد الأدبي القديم لا يقدم على أنه مصطلحٌ نقديٌّ، بل مصطلح بلاغي، ويسمى التضاد، والخلاف، والتكافؤ، والطباق، يقول أبو هلال العسكري: " كل متضاد ممتنع إجتماعه وليس كل ممتنع إجتماعه متضادا"،[٤] ويقول ابن سيده: " وَإِذا جَازَ وُقُوع اللَّفْظَة الْوَاحِدَة للشَّيْء وخلافه جَازَ وُقُوعهَا للشَّيْء وضدّه إِذا الضّدُّ ضَرْبٌ من الْخلاف"،[٥] وكذلك الطباق فهو "المطابقة فى الكلام هى الجمع بين الشىء وضدّه"،[٦] ويعرف السجستاني التضاد بأنه: "الضد في كلام العرب خلاف الشيء، كما يقال الايمان ضد الكفر، والعقل ضد الحمق".[٧]

أما في النقد الحديث فقد نشأت الثنائيات القائمة على التضاد في المنهج البنيوي، الذي يرى أن العلم هو "مجموعة من الثنائيات المتشابكة والمتقابلة، تنعكس على شبكة العلاقات اللغوية، فتحيلها إلى مجموعةٍ من الثنائيات الخالصة".[٨]

وقد تأثر النقاد العرب الذين نقلوا تلك الأفكار وترجموها في كتاباتهم، لتصبح الثنائيات عندهم هدف إلى "الوصول إلى محاولةِ فهم المستويات المتعددة للأعمال الأدبية، ودراسة علائقها، والعناصر المهيمنة على غيرها، وكيفية تولدها ثم كيفية أدائها لوظائفها الجمالية"[٩] في النص الأدبي.

وتعتمد الثنائيات على وظائف معرفية، حتى لاقت هذا الحضور، فهي قائمة على "وظيفة معرفية عامة قائمة على أساس أننا لا نعرف الشي بدقةٍ وعمق إلا من خلال معرفة نقيضه؛ لأنَّ النقيض يوفر لنا إمكانية المقارنة بين الشيء ونقيضه، وإن هذه المقارنة تساعدنا على الاستنتاج وبناء تصور معرفي عن الأشياء ومعرفة الايجابي والسلبي من خلال عملية المقارنة هذه".[١٠]

ثانيًا: التعايش: متأتية من العيش، والذي يعني: "الحياةُ، عاشَ يَعِيش عَيْشاً وعِيشَةً ومَعِيشاً ومَعاشاً وعَيْشُوشةً ... والتعَيُّشُ تكلُّف أَسباب المَعِيشة والمُتَعَيِّشُ ذو البُلْغة من العَيْشِ يقال إِنهم ليَتَعَيّشُون إِذا كانت لهم بُلْغةٌ من العَيْش، ويقال عَيْش بني فلان اللبَنُ إِذا كانوا يَعِيشون به، وعيش آل فلان الخُبز والحَبّ، وعَيْشُهم التمْرُ، وربما سمَّوا الخبز عَيْشاً والعائشُ ذو الحالة الحسَنة والعَيْش الطعام يمانية والعَيْش المَطْعم والمَشْرب وما تكون به الحياة وفي مثل أَنْتَ مرَّةً عَيْشٌ ومرَّةً جَيْشٌ أَي تَنْفع مرّةً وتضُرّ أُخْرى"، [١١] و" التعيش تكلف أسباب المعيشة".[١٢]

أما في الاصطلاح فنعني به: "حب الآخر وقبوله بمستوى معين واستبعاد العنف بكل أشكاله فهو يرتبط بالحاجة للآخر".[١٣]

فهو القبول بوجود الآخر والعيش معه جنبًا إلى جنب من دون السعي لإلغائه أو الأضرار به سواءً أكان ذلك الآخر فردًا أو جماعةً أو حزبًا أو طائفةً دينية أو دولة أو غير ذلك. [١٤]

ثالثًا: الصراع: في اللغة متأتٍ من مادة (صرع)، وهو الطرح على الأرض،[١٥] "وصرعة كثير الصرع لأقرانه، وصرعة يصرع كثيرا يطرد على هذين باب، وقد تصارع القوم واصطرعوا وصارعه مصارعة وصراعا "،[١٦] وفي الاصطلاح يتحدد مفهوم الصراع بأنه عبارة عن صراع الشخص مع نفسه وذاته حين يكون فرديًا، ويكون بين شخصين وأكثر إذا كان خارجيًا، وهذا الصراع يكون في الغالب مبنيٌ على حب السيطرة والتغلب.[١٧]

المبحث الأول: تشظي الهوية في رواية (ساق البامبو):

تدل الهُوِيَّة بمعناها العام على "إحساس الفرد بنفسه وفرديّته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكيَّاته وأفكاره في مختلف المواقف" ((١٨)).

وكل فرد في أي دولةٍ يمنح بطاقة هوية، يُثْبَتُ فيها اسم الشخص وتاريخ ميلاده ومكان مولده وجنسيّته وعمله، وتسمَّى البطاقة الشخصيّة أيضًا وتصدر عن الحكومة((١٩)).

أما الهوية في معناها الذي نصطلح عليه في الأدب فهي الرمز، أو العامل المشترك الذي يجمع عليه كل أفراد الأمة، أية أمة، من حيث الانتساب والتعلق والولاء والاعتزاز. وهذا الانتساب والتعلق والولاء والاعتزاز يكتسب قداسته لأنه ليس موضع شكٍ من طرف أي فردٍ، خاصة ممن تتكون منهم قاعدة الهرم، وهي هوية القاسم المشترك بين الجميع، استنادًا إلى الخلفية الثقافية والتاريخية الواحدة. مما يجعل هذا الاعتزال بالهوية أمرًا مشروعًا ايضًا، وحدة المصالح والمستقبل الواحد. بهذا المعنى الهوية هي الذات الجماعية، لأفراد الأمة كلهم، والمس بها يمس الأمة كلها ((٢٠)).

لعلي أقف في هذه المبحث عند رواية السنعوسي الشهيرة (ساق البامبو) التي نالت جائزة البوكر ٢٠١٣م، وهي رواية جديدة في موضوعها، تؤسسُ لأدب كويتي مختلفٍ. وما في هذه الرواية من صراع ودعوة للتعايش بين هويتين مختلفتين، فالأب كويتيٌّ، والأم فلبينية، وما يحصل في ظل هذا التشكيل الهويتي من خلافٍ وصراع . تكشف الرواية البحث عن الهوية وما يواجهه من معوقات، فهو يتخذ شخصية رئيسة هوزيه/ عيسى شاب من أم فلبينية وأبٍ كويتي كان قد تزوج عرفي سرًا من الخادمة، نتج عن هذا الزواج الطفل هوزيه لينتقل هذا الطفل لاحقًا للعيش مع والدته في الفلبين، إذ قضى طفولته ونشأته هناك، بعد أن رحلهم الأب خوفا من كلام الناس وخضوعا لأمه،

سعى هوزيه للعودة إلى الكويت بحثا عن والده ووطنه ويطالب بحقوقه بأ، يكون كويتيًا رغم ملامحه ولغته الفلبينية. وتدور الرواية حول عيسى وتحركاته وسط التيه والبحث المحموم عن هويته وذاته.

يقول الروائي على لسان البطل وهو هجين الهوية:

"لم أكن الوحيد في الفلبين الذي ولد من أب كويتيٍّ، فأبناء الفلبينيات من آباءٍ كويتيين خليجيين وعرب وغيرهم كثير. أولئك الذين عملت أمهاتهم خادمات في بيوتكم، أو من عبثت أمهاتهم مع سياحٍ جاؤوا من بلدانكم بحثًا عن لذةٍ بثمنٍ بخسٍ لا يقدمها سوى جسدٍ أنهكه الجوع. هناك من يمارس الرذيلة لإشباع غريزته، وهناك، مع الفقر من يمارسها لإشباع معدته! والثمن في حالات كثيرة، أبناء بلا آباء".(٢١)

يوضح البطل أنه لم يكن مختلفًا تمام الاختلاف عنهم، وأن هذه الهوية الهجينة لم تكن شاذة، فهناك الكثيرون ممن هم مثله، ممن دفعتهم الحاجة لأن ينتقلوا إلى الخليج ويسمحوا للأب/ الهوية الأخرى العبث مع الأم، مما ينتج أبناءً ضائعين. فهذا الانشطار في الهوية والاحساس بالتشظي والضياع هو ما يسيطر على الرواية.

في خضم الصراع والعلاقة التي نشأت بين الأب/ راشد، والأب الفلبينية يضطر أن يخضع لسلطة الأم / جدة عيسى المتسلطة، ويبقى في الكويت، ليعود بعد سنين طويلة هذا الابن للكويت، ويصدم بالفوارق الطبقية والهوياتية، مما يدفعه أن يتمنى وبشكل مؤلم: "لو ولدتُ لأبٍ وأمٍ كويتيين... أو لو ولدتُ لأبٍ وأم فلبينيين من طينة واحدة".(٢٢)

هذا الصراع الدائر في نفسية البطل يدفعه يتمنى، وبشكلٍ قاسٍ أنه لو ولد بهويةٍ واحدةٍ، ويكني عن الهوية بـ(طينية)، لكن الأم لا يقتصر على رفضه لهذه الهوية المنشطرة، بل يتجاوز ليشمل حتى اسمه، فهو يكره الاسم العربي ويشعر تجاهه بمقتٍ رهيب:

"أكره اسم عيسى....

-ولكن اسم عيسى جميل. هو اسم اليسوع بالعربية...

ربتت على رأسي:

-إن كنت ستختار دين أمك فإن عيسى هو ابن الرب.. وإن كنت ستختار دين أبيك فإنه نبي مرسل من عند الله... في الحالتين يجب أن تعتز باسمك".(٢٣)

هنا يأتي دور الأم لتشكل نقطة التقاء/ تعايش بين ثقافتين مختلفتين، وتحاول أن تقرب هوة الصراع التي تعمل في نفسية (عيسى)، فهذا الاسم هو حاضر في شتى الثقافات، وهو اختيار ذكي من الكاتب، إذ تتقاطع سيرة عيسى مع النبي عيسى عليه السلام، فكلاهما ولد من دون أبٍ، وكلاهما يواجه ثقافة الرفض والصد حتى يشعرا أن كل الأمكنة ترفضهم.

والبحث عن الوطن هو أهم ما يشكل نفسية عيسى، فهو يشعر نفسه منبوذًا، ليس كويتيًا ولا فلبينيًا، وهو بينهما ضائع:

"وأنا أقف على أرضٍ لستُ أعرفها، وباحثًا عن أرضٍ تأويني بين بلاد أبي وبلاد أمي". (٢٤)

المأوى والاستقرار هو ما كان ينشده وسط الضياع وثقافة الرفض وعدم تقبل الآخر.

ويستعين الكاتب بشجرة البامبو التي تزرع في الفلبين، ويستعير صورتها يدمجها في العنوان وكيف أنه تمنى أن يكون مثلها؛ بلا جذور:

"لو كنت مثل شجرة البامبو.. لا انتماء لها.. نقتطع جزءاً من ساقها.. نغرسه، بلا جذور، في أي أرض.. لا يلبث الساق طويلاً حتى تنبت له جذور جديدة.. تنمو من جديد.. في أرض جديدة.. بلا

ماضٍ.. بلا ذاكرة.. لا يلتفت إلى اختلاف الناس حول تسميته.. كاوايان في الفلبين.. خيزران في الكويت.. أو بامبو في أماكن أخرى."[٢٥]

فالانسان يبقى دائم الحاجة إلى جذور ينتمي إليها، لأنَّ "حاجة المرء إلى الجذور تكاد تكون أهم حاجات النفس البشرية وأقلَّها تبينا واعترافا"،[٢٦] بينما عيسى يصل لحال متمنيًا لو كان من دون هذه الجذور، يشبه حال هذه الشجرة التي تظلل بها .

كما لم يغب عن الكاتب أن يوظف التعايش بوصفه مشتقًا من قيمٍ إنسانيةٍ ودينية، "لم أطلبه شيئًا قط وهب لمساعدتي وهو يناديني بأخي، وحين سألته عن السبب أجاب: المسلم أخو المسلم".[٢٧] فهنا نفد الكاتب إلى ثقافته الإسلامية، وأن هذه الثقافة في جوهرها ثقافة تعايش، ونبذٍ لمظاهر العنصرية والطبقية.

وفي النصِّ تظهر شخصية الأم وهي تبرر دائمًا للأب أفعاله، وأن الظروف أقوى منه، فلم يكن له يدٌّ في كل ما جرى:

"لم يكن في يد أبيك، لأنَّ مجتمعًا بأكمله يقفُ وراءه".[٢٨]

فالطبقية والعنصرية هي ثقافة مجتمع بأكمله، بهذه الفكرة الخطية حاول السنعوسي تعرية مجتمعه.

المبحث الثاني : التطرف الديني وحضوره في رواية (فئران أمي حصة):

يعرف التطرف بأنه: "الشطط في فهم مذهبٍ أو معتقدٍ أو فلسفة أو فكر، والغلو في التعصب لذلك الفهم، وتحويله إلى حاكم لسلوك الفرد أو الجماعة التي تتصفُ به، والاندفاع إلى محاولة فرض هذا الفهم والتوجه على الآخر بكل الوسائل ومنه العنف والإكراه".[٢٩]

أما التطرف الديني فيعرف بأنه مرتبط بسلوك ظاهر، يتضحُ عند الشخص الذي لا يعترف بآراء الآخرين، ولا يراعي مقاصد الشرع أو ظروف العصر، ولا يترك فرصة للتحاور أو الموازنة وبين من يخالفونه في الراي والمذهب.(٣٠)

تناول السنعوسي التطرف بوصفه ظاهرة منتشرة في المجتمع استفحل وكاد ينسف التعايش المجتمعي بين الطوائف المختلفة، وما بينها من صراع، حيث تناولت الرواية، الممنوعة من النشر في الكويت لوقتٍ قريب، التحولات السياسية التي عصفت بالكويت بقالب ديني سياسي بحت.

وعلى الرغم من أنّ الرقابة الكويتية منعت "فئران أمي حِصّة" إلا أنّ سعود السنعوسي، لا يأبه بقرار الرقيب الذي يصفه بأنه "مغلوب على أمرِه، ومهزوز الثقة، وأبعد ما يكون عن القراءة والثقافة."

"فئران أمي حِصّة" التي تدور على امتداد مساحة زمنية تقارب الأربعين عاماً، يبحث السنعوسي في التحولات السياسية التي عصفت بالكويت، وكان أضخمَها غزو صدام حسين للكويت واحتلاله. وينشأ السرد من خلال روايات وأصوات متقطّعة تنجم عن صداقة ٣ صِبية يسكنون مكاناً واحداً منذ صغرهم. ترصد الرواية تطور علاقاتهم، وفقاً لما يدور حولهم من أحداث حادة تتخذ طابعاً سياسياً ودينياً.

الرواية تتساءل كيف لمثل هذه الأمور، ومنها الحروب، أن تؤثر تأثيراً مباشراً في سلوكنا وأنماط تفكيرنا، وكيف لها أن تحدّد علاقاتنا وتؤطرها؟

ولئن كان السنعوسي في "ساق البامبو" عالج رعب الهوية والخوف الدائم على الاسم والنسب والانتماء القبلي، والأعراف العنصرية. وحاول أن ينشيء معايشة مؤقتة ما بين "هوزيه ميندورا" و

"عيسى" الذي يحفظ النشيدين القوميين للكويت والفلبين، إلا أنّه في "فئران أمي حصة" يصطدم بالهويات القاتلة.

فلم يعد السؤال حول المزيج الجيني بين الكويتي والفلبيني، بل أضحى الأمر أشدّ انشطاراً بين الناس أنفسهم أصحاب الأرض والوطن والأحلام. يندلع كالنّار سؤال الهوية الفتّاك: سني شيعي! بين النواصب والروافض!

١-مظاهر التطرف:

يرى الكاتب أن السبب الرئيس في التطرف في الكويت هي حادثة تفجير المقاهي الشعبية سنة (١٩٨٥م)، فقد عرف الكويت قبل هذا تمازجا ثقافيا بين المعتقدات والمذاهب والجنسيات، يقول الراوي: "كانت والدتي قد تغيرت، ولم تعد كما يصفها والدي (ناظرة في المدرسة وفي البيت)، صارت قلقة، تنتفض كلما ارتطم باب الحوش الحديدي بفعل الريح، وتردد دويه في الشارع، تصرخ إذا ما اطلق صبية الحي ألعابهم النارية، احتفالا بفوز فريق كرة القدم، أو لسبب آخر، أو لغير سبب، تتسمر أمام التلفزيون لساعات، تترقب نشرة الأخبار، تتصل بوالدي عشرات المرات في اليوم الواحد... هذا ما صارت عليه والدتي، منذ تفجيرات المقاهي الشعبية ١٩٨٥".[٣١]

ثم لم يقتصر على الخوف ولحظاته بل على ما خلفته من بعده: "كان بين ضحايا التفجيرات جارنا المسن. خرج من بيته ولم يعد، تقول والدتي التي بكته كثيرًا طيلة اسبوع: مات المسكين... ترملت حصة وتمرضت ابنتها".[٣٢]

وتحول التعاش إلى صراع مرير يتمظهر في الأفراد: "عمي صالح أصبح كائنًا آخرَ بعد فجيعته بفقدان والده في تفجيرات المقاهي الشعبية قبل ثلاث سنوات، بعد سنوات سوف أعرف أقولا

تضاربت حول منفذيها، قيل أنها من تدبير جماعاتٍ مواليةٍ لإيران انتقامًا من موقف الكويت المساند للعراق في حرب الخليج الأولى. إيران تمثل طائفة. العراق تمثل طائفة ضد". (٣٣)

وحرب العراق وإيران كانت فاصلة بين مرحلتين هامتين، إذ كثير من الكويتيين موالين لإحدى الدولتين مما سبب تنمية وتغذية للصراع واندحار التعايش:

"قامت ثورتهم أزال صالح كل الصور عن جدرانه وقت حرب العراقيين والإيرانيين. علق صورة صدام حسين، لا أدري ما الذي أصاب أولادنا، من يومها صار واحدهم يحسب الله في صفه ضد الآخر.. ما كنا نعرف شيئًا من هذا والله... فتنة فتنة". (٣٤)

فقد أصبحت لكل فرد منهم انتماء، وتغذت تلك الروح الهجينة حتى صار لكل واحد موقف، حبا وكراهية، فظهر انصار الرئيس العراقي وتغنوا بأمجاده وخطاباته.

وتتنامى تلك الأسئلة الكبيرة في رؤوس الصغار، حتى تدفع بعضهم ليسأل سؤاله القاسي: أي الطوائف نحن؟ وما في السؤال من مخاطر وتهديد:

"شهقت إزاء ما رأت هيئتي المتربة وقميصي وفمي الدامي، مسحتُ فمي بظهر كفي لاهثًا: يمة... إحنا سنة ولا شيعة".(٣٥)

ثم يذكر مظاهر الشيعة وكيف هذه لمظاهر عن المختلف / الآخر تبدو ساذجة وتدعو للكراهية:

"الشيء الوحيد الذي لفت انتباهي كان بعض اللوحات خلف خزانة التلفزيون، لوحات بتفاصيل كثيرة، خيول وأسود وسيوف، ورجال وسيمين بتقاطيع وجه جميلة، يبدون أكثر وسامةً من الرجل الذي كنتُ أشاهده مصلوبًا في صور تعلقها تيتنا على جدار غرفتها الصغيرة. تذكرت ما قاله عمي

فهد ذات صباحٍ: (أهل البيت الذين يعبدهم عمي عباس وخالتيه وفضيلة وأمي زينب)... في ذلك المساء أدرك عقلي الصغير أشياء جديدة، أولها لوحات فنية لآل البيت، وصورة لعيون دامعة رسمها صادق، وآخرها فوتوغرافية في أحد رفوف التلفزيون".(٣٦)

يحضر هنا آل البيت بوصفهم البنية للعميقة للطائفة الشيعية التي يتغنى بها أبطال الرواية، والتي ينظر إليها الآخر بكثير من التطرف والتوجس، فهم يعبدون آل البيت في نظر الطائفة الأخرى، مما يعني كفرة.

٢-أسباب التطرف في الكويت:

لم تغفل الرواية في الحديث عن أسباب التطرف والصراع في الكويت، وتمثلت تلك الأسباب في:

أ- الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٢م، ووقف الكويت مع العراق ضد إيران: "دار الحديث جدي بينهما زاد حيرة في حيرة، ما كان عليك الانفعال، جهال، الكويت كانت، ما عادت عادت.. قبل بعد... منذ الثورة الايرانية... ثم الحرب العراقية، أقفلت عائدًا إلى غرفتي لا أجد تفسيرًا لتشجنهما على هذا النحو".(٣٧)

ب-الإعلام: يعد الاعلام من أهم الأسباب التي ساهمت في التطرف، يقول سعود: "كان الجو ملوثًا، نستنشق الهواء الفاسد دونما انتباهٍ صار لهواتفنا المحمولة دور جديد، ابتدعناه بأنفسنا، يكفي واحدنا فتح البلوتوث في هاتفه ليعي إلى أيّ حدٍ نعيشُ في مكانٍ موبوء. صور ولقطات فيديو، يتبادلها الناس، لرجال الدين وخطب دينية ومعجزات مفتعلة. اضحكم مع المعميين، مناظرة بين الشيخ والسيد، مباهلة بين فلان وفلان، شاهد جل النواصب، مؤامرات ضد الروافض".(٣٨)

فبعد أن كان رجال الدن والعلماء دعاة للخير والصلاة والوحدة لهذه الأمة وهذا الدين، تغيرت الأمور وأصبح كل شيء عكسيًا، فهم يحالون اظهار مثالب وعيوب الآخرين، واثارة الفتنة، بما صدرونه من فتاوى وآراء وما تسببه من تعصب وكراهيةٍ، من دون أي اعتبار لهذه الآراء وما تشكله من خطورةٍ على المجتمع. بل وصل الأمر لقنوات في التلفيزون: "القيء الذي انتشر في الأنترنيت تسلل إلى القنوات التلفزيونية... قنوات متخصصة، مناظرات يتابعها ألوف، بين السيد والشيخ، من يفحم من".(٣٩)

ج_ طريقة التفكير وهشاشة المجتمع الداخلية والخوف من الآخر، والأفكار الت تمتلئ بها الرؤس، يقول السنعوسي: "لا أدري ما يدور في رأس كل واحد منا في نوبة خرسٍ، صوبت عيني إلى الشاشة ولم أشاهدها، تذكرتنا صغيرين، فهد وأنا، نتقمصُ جندين عراقيين نهتف، نهوسُ، ونعد الأمة بنصرٍ من الله قريب، تذكرتنا، صادق وفهد وأنا، نجمع حجارة، صارت تلافي حوش آل يعقوب، لعلنا نصيرُ أطفال حجارة، تذكرت فوزية وبلاد تطلب المعالي، تذكرت صالح وصور الريس، تذكرتُ عباسا وصورة روح الله، تذكرتُ أمي حصل تبجل فهد الأحمد، لشيخ الشهيد، الرجل، الذي حارب اليهود. تذكرتُ حديثها لليلي عن زوجها منصتًا إلى خطب الزعيم، جمال عبد الناصر، يطربُ لحديثه تذكرتُ كل شيءٍ. وعينان على الشاشة ثابتتان، تذكرت وأدركت كم كنت فئران تجارب في معملٍ كبيرٍ، يديره من؟"(٤٠)

يتذكر الراوي عبر خاصية الاسترجاع التشقق الطائفي ما فعله بهم من اختلاف وأهواء، ومرد ذلك الشقق في التعايش مرده إلى البنية الفكرية للمجتمع الكويتي المتعدد المشارب، فقد اختلفت أهواءه على نحو مشجٍ، جعل الكاتب ينظر للأمر على أنه سبب رئيس لتشقق المجتمع والنحو نحو هاويةٍ سحيقة، ففي النص أعلاه يعرض الراوي جملة من الشخصيات:

-جنديان عراقيان أيام الغزو، يوظف علاقة التأثير والتأثر بين الغالب والمغلوب.

-رمي الحجارة متأثرين بأفكار القضية الفلسطينية، ومنها رمي الحجارة.

-صالح وحب للرئيس العراقي الأسبق رغم أنه مواطن كويتي.

-عباس وحبه للخميني وثورته الاسلامية التوسعية المذهبية الممزوجة بشغف أن تتحول الكويت إلى بلاد تابع لولاية الفقيه وثورته.

-أمه وحسها الوطني وحبها للشيخ الشهيد فهد الأحمد الذي استشهد أثناء الغزو وما ترك في قلوب الوطنيين من لوعة.

-جمال عبد الناصر وحضور الحس القومي.

هذه المشارب الفكرية والصراعات الفكرية والهشاشة التي تملأ الأفراد ساهمت بشكل رئيس في ظهور الصراع الطائفي والتطرف الديني بدل التعايش السائد.

٣- معالجة التطرف الديني في الرواية:

من الصعب معالجة التطرف خاصة في نصٍ أدبي، لكن السنعوسي مرَّ على العلاجات، لعل أهمها وأنجعها في رأيه التعامل مع الدين الاسلامي بوصفه شاملًا، وجامعًا، وموحدًا، وأننا كلنا مسلمون تحت راية التوحيد، وتقبل الآخر، يقول: "بالله الذي رفع السماء: لولا الدماء في فمك لصفعتك على شفتيك! أطلقت قسمها وهي تمدُّ لي كأسَ الماء بالملح لأتمضمض وأوقف نزيف سني الساقطة، كنتُ معها في غرفة الجلوس، في زيي المدرسي... أردفت تهز سبابتها: أنت مسلم وبس... ما يكفيك؟!"(٤١)

يحاول الكاتب تقديم رؤية حوارية على لسان العجوز، عبر نبذ المذاهب وما يتبعها من نشب الخلافات، ومحاولة بلورت الدين الاسلامي على أنَّه دين واحد، يجمع ولا يفرق، وبهذه الطريقة يمكن أن ننسى الخلافات.

كما يرى السنعوسي أن الحل يأتي عبر التوحد والاخلاص في العمل لمواجهة ما يكابده المجتمع من خطورة:

"اتفقنا ألا تكون جماعتنا مدعومة من أي جهةٍ أو حركةٍ سياسية أو دينية أو حكومية، حتى لا نمثل إل أنفسنا".(٤٢)

وهكذا الابتعاد عن أي جماعة هو سبيلٍ من سبل الحل المرجوة.

الخاتمة:

والآن نقف عند ابرز النتائج التي توصلتُ إليها:

١-ظاهرة التعايش من أهم الظواهر في روايات الكاتب سعود السنعوسي، لما يحفل مجتمعه من صراع طبي وتشظي هوياتي وظائفي.

٢-مثل التشظي الهوياتي الظاهرة الرئيسة في رواية (ساق البامبو) وما يتناولها من ظواهر مرادفة، كالطبقية، والعنصرية والقبلية.

٣-التطرف الديني شغل السنعوسي، في روايته (فئران أمي حصي)، فتناول ظواهره وأسبابه وطرق علاجه.

٤-وأهم أسبابه هي الحرب العراقية الايرانية، الثورة الاسلامية في ايران وحلم التوسع، الهشاشة الداخلية في المجتمع الكويتي.

٥-لا علاج للتطرف الديني إلا بالتوحد ومن دون الاعتماد على أي جهةٍ سياسية أو دينية، والايمان برسالة الاسلام والتوحيد بغض النظر عن المذهب.

الهوامش:

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبيا: ١/٣٧٩-٣٨٠.

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية: ٥٨.

(٣) ينظر: الثنائيات المتضادة في شعر الصعاليك والفتاك إلى نهاية العصر الأموي، مي وليم عزيز، اطروحة: ٧.

(٤) الفروق اللغوية: ٤٨٨.

(٥) المخصص: ٤/١٧٤.

(٦) كتاب الصناعتين: ٣٠٧.

(٧) الأضداد للسجستاني: ٧٢.

(٨) بناء الأسلوب في شعر الحداثة، محمد عبد المطلب: ١٤٩.

(٩) مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل: ٩٨.

(١٠) يوسف الخطيب... ذاكرة الأرض .. ذاكرة النار، ناهض حسن: ٤١.

(١١) لسان العرب: ٤/٣١٩٠.

(١٢) مختار الصحاح: ١٩٥.

(١٣) حل النزاعات والتعايش السلمي، سهاد عب
الرزاق حسن، جمعية الفردوس، العراق، ٢٠٠٩:'١٦٣.

(١٤) ينظر: مركز العراق لمعلومات الديمقراطية الاختلاف في ظل التعايش، : ٦٠.

(١٥) القاموس المحيط: ٩٥١.

(١٦) المحكم والمحيط الأعظم: ١/ ٤٣٥.

(١٧) ينظر : قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف عفيفي، جمعة الاسكندرية، مصر، ١٩٧٩: ٨٣.

((١٨)) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢٣٧٢/٣.

((١٩)) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٧٢/٣.

((٢٠)) ينظر: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مجموعة من الباحثين، تحرير: رياض زكي قاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٣م: ٢٥.

(٢١) ساق البامبو: ١٨.

(٢٢) ساق البامبو: ٦٣-٦٤.

(٢٣) المصدر نفسه: ٧٢.

(٢٤) ساق البامبو: ٢٢٤.

(٢٥) المصدر نفسه: ٩٤.

(٢٦) تأملات حول المنفى ومقالات أخرى/ إدوارد سعيد/ ١٢٩/١.

(٢٧) المصدر نفسه: ٣١٣.

(٢٨) المصدر نفسه: ٧٧.

(٢٩) التطرف خبز عالمي، راشد المبارك، دار القلم -دمشق، ط١، ٢٠٠٦: ٢١.

(٣٠) ينظر: الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف، يوسف القرضاوي، كتاب الأمة، قطر، ط٣، ١٩٨٢ن: ٢٤.

(٣١) فئران أمي حصة، سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط٣، ٢٠١٥: ١١.

(٣٢) المصدر نفسه: ١١.

(٣٣) المصدر نفسه: ٧٢.

(٣٤) المصدر نفسه: ١٩٩.

(٣٥) المصدر نفسه: ٣٢.

(٣٦) المصدر نفسه: ١٠٤.

(٣٧) المصدر نفسه: ٣٩.

(٣٨) المصدر نفسه: ٣٧٣-٣٧٤.

(٣٩) المصدر نفسه: ٣٧٤.

(٤٠) المصدر نفسه: ٣٥٩-٣٦٠.

(٤١) المصدر نفسه: ٣٩.

(٤٢) المصدر نفسه: ٤٠٠.

قائمة المصادر والمراجع:

١) الأضداد، لأبي حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني (١٦٥هج – ٢٥٥هج) ؛ حققه ووضع فهارسه محمد عودة أبو جري ؛ راجعه وقدم له رمضان عبد التواب، دار الثقافة الدينية، (د.ت)، ١٩٩٤م.

٢) بناء الأسلوب في شعر الحداثة، محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥.

٣) تأملات حول المنفى ومقالات أخرى/ إدوارد سعيد، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

٤) التطرف خبز عالمي، راشد المبارك، دار القلم –دمشق، ط١، ٢٠٠٦.

٥) الثنائيات المتضادة في شعر الصعاليك والفتاك إلى نهاية العصر الأموي، مي وليم عزيز، اطروحة.

٦) حل النزاعات والتعايش السلمي، سهاد عب الرزاق حسن، جمعية الفردوس، العراق، ٢٠٠٩:١٦٣'.

٧) ساق البامبو، سعود السنعوسي، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط٣، ٢٠١٥.

٨) الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف، يوسف القرضاوي، كتاب الأمة، قطر، ط٣، ١٩٨٢ن: ٢٤.

٩) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

١٠) فئران أمي حصة، سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط٣، ٢٠١٥: ١١.

١١) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت: ٨١٧هـ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ط٨، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٢) كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت.

١٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ت: ٧١١هـ، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

١٤) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت: ٤٥٨هـ ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ط)، ٢٠٠٠م.

١٥) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

١٦) مركز العراق لمعلومات الديمقراطية الاختلاف في ظل التعايش.

١٧) المعجم الفلسفي، جميل صلبيا، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ومكتبة المدرسة- بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٨) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية.

١٩) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب- القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٠) مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، الرزاق حسن، جمعية الفردوس، العراق، ٢٠٠٩.

٢١) الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مجموعة من الباحثين، تحرير: رياض زكي قاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٣م: ٢٥.

٢٢) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف عفيفي، جمعة الاسكندرية، مصر، ١٩٧٩: ٨٣.

٢٣) يوسف الخطيب... ذاكرة الأرض .. ذاكرة النار، ناهض حسن.